

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[476] وممّا يثير النظر وبسترعيه أنّ الآية هنا جمعت التعبير بـ "عدو" أو "وعدوكم" وذلك إشارة إلى عدم وجود منافع وأغراض شخصية في الجهاد والدفاع عن الإسلام، بل الهدف هو حفظ رسالة الإسلام الإنسانية، فالذين يعادونكم إنّما هم أعداء أو أعداء الحق والعدل والإيمان والتوحيد والأخلاق الإنسانية، فينبغي الردّ عليهم انطلاقاً من هذا المجال. وفي الحقيقة إنّ هذا التعبير شبيه بالتعبير "في سبيل الله" أو "الجهاد في سبيل الله" الذي يدلّ على أنّ الجهاد أو الدفاع الإسلامي لا يشبه فتح البلدان في ما مضى من التاريخ، ولا غزو الاستعمار التوسعي اليوم، ولا في صورة إغارات القبائل العربية في زمن الجاهلية، بل كل ذلك من أجل الله وفي سبيل الله، وفي مسير إحياء الحق والعدل. ثمّ تضيف الآية بأنّ المزيد من استعداداتكم العسكرية يخيف أعداء آخرين لا تعرفونهم فتقول: (وآخرين من دونهم لا تعلمونهم). * * * ملاحظتان 1 - من هم المقصودون في الآية "الذين لا تعلمونهم" بالرغم من أنّ المفسّرين احتملوا في هذه الطائفة (الذين لا تعلمونهم) احتمالات كثيرة، فقال بعضهم: إنّهم يهود المدينة الذين كانوا يضمرون عداؤهم، وقال آخرون: إنّها إشارة إلى الأعداء مستقبلاً، كدولة الروم والفرس اللتين لم يحتمل المسلمون يوماً أنّهم سيكونون في حرب معهما أو يقع القتال بينهما وبينهم. إلّا أنّ الأصحّ - كما نراه - هو أنّ المراد منها هم المنافقون الذين دخلوا في صفوف المسلمين دون أن يعلموهم، فإذا قوي جيش الإسلام فإنّ أولئك سيقعون